كتاب: تركيا وروسيا في سوريا

Turkey and Russia in Syria

Author: Hasan Yükselen	تحرير: حسن يوكسلان
Publisher : İstanbul-SETA Publications, 2020	الناشر: منشورات سيتا - اسطنبول 2020
Reviewed by: Murat Poyraz	مراجعة: مراد بويراز
Pages: 239	عدد الصفحات: 239

شهدت السنوات الأخيرة صدور العديد من البحوث المميزة حول الحرب السورية التي اندلعت عام 2011، وكان كتاب «تركيا وروسيا في سوريا» واحدًا من هذه الدراسات. يقدّم هذا البحث الرصين رؤى بالغة الأهمية للعلاقات التركية-الروسية بعد الحرب السورية في سياق التأرجح بين خيارين متطرفين: الحرب والتحالف.

تبنى حسن يوكسلان مقاربة تتجاوز تاريخ العلاقات بين الدول القومية. يتكون كتاب «تركيا وروسيا في سوريا» من خمسة فصول؛ تناول الفصل الأول جذور الحرب السورية وتأججها وتحولها، حيث بدأت الحرب بمظاهرات مدنية، ثمّ تحولت إلى «حرب داخلية»، ثمّ إلى «حرب بالوكالة» (ص15). واهتمّ الفصل الثاني تحت عنوان: «التحركات» بديناميكيات التحوّل الإقليمية في سوريا التي دفعت كلًّا من الولايات المتحدة وروسيا إلى تغيير سياساتهما بما يتماشى مع تحوّل الحرب السورية.

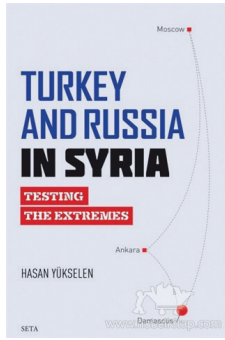

وخُصِّص الفصل الذي بعده بشكل أساسي لتحليل العوامل التي دفعت تركيا إلى الرد على توسع تحالف تنظيمَي بي يا دي ويا بي جي. وفي الفصل الرابع، ركز يوكسلان على التقلبات في العلاقات التركية الروسية التي تراوحت بين الحرب والتحالف. ينتقل الفصل الأخير إلى آفاق علاقة تركيا مع الولايات المتحدة وروسيا في سياق الديناميكيات المتغيرة للحرب السورية.

ترجع أصالة الكتاب إلى حدّ كبير إلى دراسة يوكسلان للطابع المتغير للحرب السورية وتأثيراتها في سلوك كل من الجهات الفاعلة الحكومية وغير الحكومية. فمنذ بداية الحرب السورية، كانت لتركيا وروسيا أهداف إستراتيجية متباينة ومتضاربة فيما يتعلق بعدة قضايا، مثل مستقبل نظام الأسد، والمجموعات المعارضة (ص52-41)، ومصير تنظيمَي بي يا دي ويا بي جي (ص182). وقد أدّى إسقاط تركيا طائرة مقاتلة روسية إلى ظهور احتمالية نشوب

DOI:10.36360/1560-011-002-011

حرب بين البلدين. وإنّ ما دفع بالبلدين من التنافس إلى حافة الحرب كان في الأساس عملية إسباغ الطابع الإقليمي على الجماعات الإرهابية مثل تنظيمَي بي يا دي ويا بي جي وداعش، إذ شكّلت تلك الكيانات خطرًا كبيرًا على مكاسب الدول ومصالحها. لذلك، من المثير للاهتمام، أنه ما أن تتحقق عملية إسباغ الطابع الإقليمي على التهديد إلا وتبدأ المنظمات الإرهابية والجهات الفاعلة غير الحكومية في تشكيل «سلوكيات الجهات الحكومية، حتى تلك التي لم تكن راغبة في الانخراط في الصراع» (ص57). نجح يوكسلان في الكشف عن أن إسباغ الطابع الإقليمي على المخاوف الأمنية أجبر تركيا على الابتعاد عن حليفتها القديمة؛ الولايات المتحدة، التي فضّلت استخدام تنظيمَي بي يا دي ويا بي جي بوصفهما وكلاء لها في سوريا؛ لذا قرّرت تركيا معالجة مخاوفها الأمنية من خلال العمليات العسكرية، مثل عملية درع الفرات، وعملية غصن الزيتون، وعملية نبع السلام.

كما أدى إسباغ الطابع الإقليمي على التهديدات إلى فقدان النظام السوري سمته الاقليمية. فعندما اتضح ذلك، اختارت موسكو تغيير حساباتها الإستراتيجية واستخدام أدواتها العسكرية على الأرض. ويبرهن هذا التحرك أيضًا على صحة ادعاء يوكسلان بأن الطبيعة المتغيرة والدائمة للحرب السورية أثرت في سلوك الدول (ص132). ويظهر جانب آخر من أصالة الكتاب بتناول يوكسلان التعاون الذي جرى بين قوات سوريا الديمقراطية وداعش، مثل اتفاق الطبقة الذي منح مدينة الطبقة لقوات سوريا الديمقراطية التي أُنشئت لتعميق المخاوف الأمنية لتركيا، وصفقة أخرى تهدف إلى نقل مقاتلي داعش إلى دير الزور من الرقة بوساطة داعش وتنظيمي بي يا دي ويا بي جي. تكشف محاولات التعاون هذه عن أنه لا توجد قيود على الجهات الفاعلة غير الحكومية في استخدام أساليب غير مشروعة لإسباغ الشرعية على قضاياها وعكس آلية الحرب بالوكالة رأسًا على عقب (ص103).

كان من الممكن تعزيز كتاب تركيا وروسيا في سوريا الذي يدور حول الحرب السورية- بإدراج جوانب أخرى على النحو الآتي: أولًا، يتطرق يوكسلان إلى العلاقات بين تركيا والولايات المتحدة وروسيا في سياق الحرب السورية والجهات الفاعلة غير الحكومية، إلا أنه لا يقدّم أي تحليل مفصّل عن تأثيرات الجهات الحكومية الأخرى، مثل إيران في تلك العلاقات، على الرغم من أن المؤلف نفسه أقر بأهمية تأثيرها في عدة مناسبات. على سبيل المثال، يشير الكاتب إلى أن «مشاركة ودعم الحرس الثوري الإيراني بوصفه جزءًا من الإستراتيجية الإيرانية الأوسع لم تروج لإيران على أنها من اللاعبين الرئيسين في سوريا فحسب، بل قدمت أيضًا موطئ قدم بالغ الأهمية للمواجهات الإستراتيجية المستقبلية التي يمكن أن تقيّد «إسرائيل» في الشرق الأوسط» (ص30). بالنظر إلى أهمية السياسة الخارجية الإيرانية تجاه سوريا والدول الأخرى، وتطلعات إيران إلى الهلال الشيعي، فمن المؤسف أن المؤلف لم يدرج هذه العوامل في المناقشة.

نقطة الضعف الثانية في الكتاب هي أن المؤلف يجادل بأنه بعد إسقاط الطائرة الروسية عام 2015

فضل الجانب الروسي الاقتراب من تنظيمَي بي يا دي ويا بي جي من أجل «تقييد الخيارات السياسية والعسكرية لتركيا» (ص139). ومن المفارقة أن المؤلف يرى أن روسيا «جاهدت لتقييد مسار فقدان النظام السوري لطابعه الاقليمي» (ص161)، ووافقت على وحدة أراضي سوريا مع تركيا، إلا أنه لم يقدم تسويغًا مقنعًا بشأن سبب اختيار روسيا للتعاون مع تنظيم إرهابي على حساب توتر علاقته مع سوريا. وتتعلق المشكلة الثالثة بعملية إسباغ الطابع الإقليمي على تنظيمي بي يا دي ويا بي جي وداعش؛ يقدم يوكسلان سردًا شاملًا لآثار هذه العملية على كلّ من الجهات الحكومية وغير الحكومية، متجاهلًا عملية إسباغ الطابع الإقليمي على الجيش السوري الحر وعواقبه المحتملة. أخيرًا، يركز يوكسلان إلى حد كبير على تأثير العوامل الخارجية في تشكيل مجموعات المعارضة.

ختامًا؛ يحقق هذا الكتاب هدفه المتمثل في تقديم رؤى ثاقبة للآثار الناجمة عن الطبيعة المتغيرة للحرب السورية التي تسببت في تأرجح تركيا وروسيا بين طرفَي الحرب والتحالف، كما يسلّط الضوء أيضًا على الكيفية التي يمكن للجهات الفاعلة غير الحكومية من خلالها أن تؤدّي دورًا حاسمًا في سلوك الجهات الحكومية بشكل عام، من خلال تقديم منظور نقدي. ومن هنا، تُعَدّ دراسة يوكسلان مرجعًا أساسيًّا للقرّاء المهتمين بالعلاقات التركية الروسية وسياسة الولايات المتحدة تجاه الحرب السورية، والحرب بالوكالة، ودور الجهات الفاعلة غير الحكومية في تشكيل سلوك الدول.

هذا هو عالمنا

مجموعة "تركواز ميديا جروب"، مجموعة إعلامية رائدة تضم عدة مؤسسات تعمل في مجال الصحافة والنشر والبث الإذاعي والتلفزيوني. تمتلك أوسع المجلات والصحف انتشاراً، وأشهر القنوات التلفزيونية، لتصبح المنصة الإعلامية الأقوى في الإعلام التركي.

والآن الفرصة متاحة أمامكم للاستفادة من هذه القوة لنشر إعلاناتكم.

TURKUVAZ
MEDIA GROUP

اقرأ «ديلي صباح»
لتبقى على اطلاع على ما
يجري في تركيا
والعالم من تطورات

أخبار العالم
من منظور تركي

DAILY SABAH

www.dailysabah.com
www.dailysabah.com/arabic

TURKUVAZ
MEDIA GROUP